الزَّرْعُ وَالحَرْثُ في القُرْآنِ الكَرِيمِ
(دراسة دَلاليّة)

م.د. غازي مطشر حمزه البدريّ
المديرية العامة للتربية في واسط

فحوى البحث

لقد اهتمّ القرآن الكريم بالزراعة اهتمامًا بالغًا، ولافتًا للنظر لما لها من أهمية في حياة البشر؛ لكونها عمادًا لاقتصاد الأمة الراقية؛ لذلك نرى أنّ القرآن الكريم اعتنى بها وبأساليبها عناية فائقة تستحق الدراسة على وجه الخصوص، فجاء اختيار الباحث لهذا الموضوع؛ لتقديم دراسة تعبّر عن جمالية الألفاظ القرآنيّة خدمةً للأمّة بغرس روح العمل والنشاط فيها، ومن ثمَّ الحركة، حركة الطموحات والتطلّعات البشريّة بالخطوات الحثيثة المشجّعة في هذا الميدان؛ ليخطو الإنسان المؤمن قبل غيره من الأُمم الأُخرى حتّى يكون جديرًا بالقيادة؛ ولتكون الرسالة القرآنيّة رسالة للجميع؛ وتكون الأرض معمورة بمنهج الله تعالى، وهو التوحيد والإيمان.

تمهيد:

الزَّرْعُ لغةً واصطلاحًا:

الزَّرع في اللُّغة: يعني تنمية الشيء، قال الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ): "الزَّرْع: نبات البُّر والشَّعير. النَّاس يحرثونه واللهُ يَزْرَعُهُ، أي: يُنميه حتّى يبلغ غايته وتمامه"[١]، وبهذا يكون أصل مادة الزَّرع: الزَّاي والرَّاء والعين يدلُّ على تنمية الشيء[٢].

وحدَّد الأزهريّ (ت٣٧٠هـ) في «تهذيب اللُّغة» «الزَّرْع» بين النَّبات والإنبات والتنمية والبذر، ويضيف أنّ الزَّرْع يعني الإحصاد[٣].

ومن الأصل اللُّغويّ يتبيّن أنّ «الزَّرْع» قد يُطلق على طَرْحِ البذر في الأرض، أو على ما ينبت منها، قال أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ): «وكان بعضهم يقولُ: الزَّرْع طرح البَذْر في الأرض. والزَّرْع اسمٌ لِمَا نَبَتَ. والأصل في ذلك كلّه واحد»[٤].

وكذلك حدَّدَ الجوهريّ (ت٤٠٠هـ) دَلالة «الزَّرْع في طرح البَذْر في الأرض والإنبات»[٥].

وحدَّدَ ابن سيده (ت٤٥٨هـ) في «المحكم والمحيط الأعظم» دَلالة «الزَّرْع» بين البذر والتنمية والإنبات، ويضيف أنَّ الزَّرْعَ قد غلب على البُّر والشَّعير[٦].

(١) العين: أبو عبد الرَّحمن الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزوميّ، وإبراهيم السامرائيّ، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ= ١٩٨٨م: ١/ ٣٥٣، وينظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ط)، ١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م: ٣/ ٥٠ –٥١ (زرع).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٥٠ –٥١ (زرع).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٤م: ٢/ ٧٩.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٥٠ –٥١ (زرع).

(٥) ينظر: الصحاح: إسماعيل بن حّماد الجوهريّ(ت ٤٠٠هـ)، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت –لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م: ٤/ ٣٥٩ –٣٦٠.

(٦) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن

أمَّا ابن منظور (ت٧١١هـ) فلم يأتِ بشيءٍ جديد، فالذي وجدناه في لسان العرب، يقال: زَرَعَهُ اللهُ أي: أَنبته، وزَرَعَ الحَبَّ يَزْرَعُهُ زَرْعًا وزِراعَةً: بَذَره، والاسم الزَّرْعُ، وقد غلب على البُرِّ والشَّعِيرِ، وجمعهُ: زُرُوع، وقيل: الزَّرْعُ نبات كلّ شيء يحرث، وقيل: الزَّرع طرح البَذْر، والزَّرَّاعُ: مُعَالِجُ الزَّرع، وحِرْفَتَهُ الزِّراعةُ[٧].

فأصل «الزَّرْعِ» التنمية، وقد يعني بذر الحَبّ أيضًا، وقد يطلق على ما ينبت من الأرض، هذا ما صرَّح به اللُّغويون.

ومن طريق الدَّلالة اللُّغويّة يمكننا أن نلمح المفهوم الاصطلاحيّ للزَرْع، فنقول: إنَّ الزَّرْعَ عبارة عن بذر البذور في الأرض والاعتناء بالنباتات التي تنمو تحت الظروف الطبيعيّة حتّى يحين موعد حصادها، فتُحصد وتُدَّخر.

وقد تطوّرت الزِّراعة في العصر الحاضر حتَّى غدت علمًا وفنًا وصناعةً في الكليّات والمدارس، وتهتمُّ بها الحكومات على مستوى عالٍ، وهي التي تعنى بعلم يهتمُّ بطرق وأساليب تؤدي إلى زيادة إنتاج المحاصيل النباتية والحيوانية النافعة للإنسان.

وقد تشمل الزِّراعة علوم الحشرات والحيوان والآفات والأمراض النباتيّة والحيوانيّة، وغيرها من الأمور التي تتعلّق بالإنتاج النباتيّ والحيوانيّ من رعي المواشي وصيد الحيوانات، وغيرها من مجالات أخرى.

الحَرْثُ لغةً واصطلاحًا:

الحرث في اللُغة: «حَرَثَ»: الاحتراث من الزَّرْع ومن كسب المال، ولا يَحرثُ أحدٌ أرضًا إلّا ليكسب ويجمع[٨].

قال الأزهريّ نقلا عن الليث: «الحَرْثُ قَذْفُكَ الحَبَّ في الأرضِ لازْدِراعٍ، والاحتراث من كسب المال»[٩].

وقال أحمد بن فارس: «الحاء والراء

علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٠م: ١/ ٥١٨.

(٧) ينظر: لسان العرب: أبو الفضل جمال الدِّين محمد بن مكرم بن منظور المصريّ(ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت(د. ط)، (د. ت): ٨/ ١٤١(زرع).

(٨) ينظر: العين: ٣/ ٢٠٥ (حرث).

(٩) ينظر: تهذيب اللغة: ٤/ ٢٧٥.

والثاء أصلانِ متفاوتان: أحدهما الجمع والكسب، والآخر: أن يُهْزَل الشيء. فالأول: الحَرْث، وهو الكَسْب والجمع، وبه سُمِّيَ الرجل حارِثًا»[١٠].

ومن هذا الطريق وَحَّدَ اللُغويّون دَلالتي الزَّرْع والحَرْث، قال ابن سيده: «الحَرْثُ: العمل في الأرض زَرْعًا كان أو غَرْسًا، وقد يكون الحَرْثُ نفسَ الزَّرْع»[١١].

وقال ابن منظور: «والحَرْثُ: الزَّرْعُ. والحَرَّاثُ: الزَّرَّاعُ. وقد حَرَثَ واحْتَرَثَ، مثل: زَرَعَ وازْدَرَعَ»[١٢].

أَلفاظ ذات صلة بالدَّلالتين:

ينبغي لنا أن نقف عند الكلمات التي تشارك كلمة «الزَّرْع» مفهومًا ودلالةً، وذلك لتتّضح لنا دَلالة «الزِّرْع» والفرق بينها وبين مرادفاتها، ومن هذه الألفاظ:

الفِلاحةُ:

الفِلاحة لغةً: فَلَحْتُ الأَرضَ: شَقَقْتُها لِلزِراعةِ والحَرْثِ[١٣]، وقد حدَّدَ أحمد بن فارس لمادة «فَلَحَ» دَلالتين، الأولى: شَقُّ الأرض، والثانية: البقاء والفوز، بقوله: «الفاء واللام والحاء أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على شَقِّ الأرض، والآخر على فوزٍ وبقاءٍ، فالأوَّل: فَلَحتُ الأرضَ: شَقَقتُها. والعرب تقول: «الحديد بالحديد يَفْلَحُ». ولذلك سُمِّيَ الأَكَّار فلَّاحًا... ، والأصل الثاني: البقاء والفوز»[١٤].

والدَّلالة بين اللفظتين واضحة، فالفائز هو الذي يشقُّ طريقه لنجاحه، كما يشقُّ الزَّارِع الأرضَ ليفوز بالإنبات، ومن هنا قارن اللُغويّون بين الفِلاحة والزَّرْع، قال ابن منظور: «الفَلْحُ: الشَّقُّ والقطعُ. فَلَحَ الشَّيءَ يَفْلَحُهُ فَلْحًا: شَقَّه... وفَلَحَ رأسَه فَلْحًا: شَقَّه. والفَلْحُ: مصدر فَلَحْتُ الأرضَ إذا شققتها للزراعة. وفَلَحَ الأرضَ للزراعة يَفْلَحُها فَلْحًا إذا شَقَّها

(١٠) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ٤٩ (حرث).
(١١) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ٢٩٦.
(١٢) لسان العرب: ٢/ ١٣٤ (حرث).
(١٣) مجمل اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، راجعه ودقق أصوله: محمد طعمة، دارإحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م: ٥٠٩ (فلح).
(١٤) معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٥٠ (فلح).

للحَرْث. والفلَّاح: الأَكار، ومنه قيل له فَلَّاحٌ؛ لأنَّه يَفْلَحُ الأرضَ، أي يشقّها، وحِرْفَتُه الفِلاحة. والفِلاحة بالكسر: الحِراثة»[١٥].

يتّضح من هذه المدلولات اللُغويّة أنّه لا فرق بين الزَّرع والحَرْث والفِلاحة، وإنّما تتقارب دلالة بعضها من بعض، إلّا أنّه هناك من اللُغويّين مَن يُفَرِّق بين مدلولات هذه الكلمات ومنهم أبو هلال العسكريّ (ت٤٠٠هـ)[١٦].

الغَرْس:

غَرَسَ الشَّجرَ يَغْرِسُهُ: أنْبَتَهُ في الأرض[١٧]، الغين والراء والسين أصلٌ صحيحٌ قريب من الذي قبله. يقال: غَرَسْتُ الشَّجرَ غَرْسًا، وهذا زمنُ الغِراس، ويقال إنّ الغَرِيسة: النَّخلةُ أوّ ما تَنبت[١٨].

المبحث الأوَّل

الاستعمال الحقيقيّ للزَّرْعِ والحَرْثِ في القرآن الكريم:

دَلالة الزَّرْع:

الزَّرْعُ في الأصل مصدرٌ، ويعني الإِنْبَات، وحقيقةُ ذلك تكُون بالأُمورِ الإلهيَّةِ دُونَ البشريّة[١٩]، وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤ -٦٥].

فالزرع في الآية: الإنبات، يقالُ: زَرَعَهُ الله، أي: أنبته، ومعنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦٣-٦٤]، أي: أنتم تُنَمُّونه أم نحنُ المُنمُّون له[٢٠].

(١٥) لسان العرب: ٢/ ٥٤٨ (فلح).

(١٦) ينظر: الفروق اللغوية: أبو هلال العسكريّ (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: جسام الدين القدسيّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ١٨١.

(١٧) ينظر: القاموس المحيط، فصل الغين: الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٥م: ٥١٩.

(١٨) ينظر: معجم مقاييس اللغة، باب الغين والراء وما يثلثها: ٧٨٤.

(١٩) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأَصفهانيّ (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٤، ١٤٢هـ ق= ١٣٨٣هـ، مطبعة كيميا، قم ، منشورات ذوي القربى: ٣٧٩.

(٢٠) ينظر: معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الفرّاء(ت٢٠٧هـ)، قدم

والمُنبِتُ هو الله عزّ وجـلّ، فَنُسِبَ الـزَّرْعُ إليه تعالى على سبيل الحقيقـة، ونَفْيُه عن عباده على سبيل المبالغة؛ لعدم الاعتداد بزرع البشر، قال الرَّاغب الأصفهانيّ: «نَسَبَ الحَرْثَ إليهم، ونفى عنْهُم الزَّرْع ونَسَبَه إلى نَفْسِه، وإذا نُسِبَ إلى العبد فلكونِهِ فاعِلًا للأسباب التي هي سببُ الـزَّرْع، كما تقول: أَنْبَتَّ كذا: إذا كنتَ مِن أسبابِ نَبَاتِهِ»[٢١]؛ نفي الزَّرْع عنهم وإثباته لله تعالى يفيد معنى قصر الـزَّرْع، أي الإنبات على الله تعالى، من دونهم، وهو قصر مبالغة؛ لعدم الاعتداد بزرع الناس[٢٢].

وقد أُسنِدَ الزَّرْعُ إلى العباد من طريق المجاز في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٧].

قال الـزَّجّاج (ت٣١١هـ): «أي: تَدْأَبُونَ دَأَبًا، ودلَّ على تَدْأَبُونَ (تَزْرَعُونَ)، والـدَّأَبُ: المُلازمةُ للشيءِ والعادةُ»[٢٣]، فالإنسان هو مَن يحرث الأرضَ، ويُلقي فيها بذورًا، ويسقيها، ويعتني بها حتّى يحين موعد الحصاد، إلّا أنّ إخراج الزّرْع من الأرض، وتحليتَه بالأثمار، فذلك كُلّه بقدرة الله تعالى، قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة النّحل: ١١].

إذن لا زرع هناك إلّا أن يُسند إلى الله تعالى؛ فهو المُنبِتُ الحقيقيّ، وأمّا ما يحرثه الإنسان فهو زَرْعٌ وحَـرْثٌ، وقد يكون زَرْعًا ولا دخل للإنسان في إنباته، ولكنه لا يكون زَرْعًا بكسب الإنسان فقط، دون إنبات الله، فالدلالة بين الـزَّرْع والحَرْث مطلق العموم والخصوص، فكل حَرْث

له وعلق عليه ووضع حواشيه وفهارسه: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلميّة، بيروت –لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢ م: ٣/ ٣٥.

(٢١) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٧٩.

(٢٢) ينظر: التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار ابن سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م: ٢٧/ ٣٢١.

(٢٣) معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحاق إبراهيم بن الـسَّري الـزَّجّاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م: ٣/ ٩٢.

زَرْع، وليس كُلّ زَرْع حَرْثًا، يبذل الإنسان جهدًا في إنتاجه.

وقد يُطلق الزَّرْعُ على المزروع، نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾[سورة الدخان: ٢٥-٢٧].

وجاء الزَّرْع بمعنى أنواع الحبوب في قوله تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[سورة الرعد: ٤].

للدلالة أنواع من الحبوب على اختلاف ألوانها وطعومهاوصفاتها من حنطة وغيرها.

ولا نعني في دراستنا لمادة «الزَّرْع» في القرآن الكريم إلَّا المعنى المجازيّ الذي يأتي بمعنى «الحَرْث»، وهو الذي يَتمُّ بجهد الإنسان وكسبه بأن يقوم هو بحرث الأرض، وإلقاء البذور فيها، وسقايتها، ورعايتها حتّى الحصاد، ثُمَّ الاعتماد على الله الذي يُنبتُ كُلَّ زَرْعٍ بفضله وكرمه.

دَلالة الحَرْث:

أصلُ الحَرْث: إلقاء البذر في الأرضِ وتهيّؤها للزرع، ويُسَمَّى المحروثُ حَرْثًا[٢٤]. قال ابن عاشور: «الحَرْث أصله شَقُّ الأرض بآلة حديديّة؛ ليزرع فيها أو يغرس»[٢٥].

والمتدبِّر للقرآن الكريم يتبيَّن له أنّه لم يكتفِ بانتقاء المفردة الخاصَّة بالمعنى المُحدَّد المطلوب؛ لذلك نلحظ أنَّ دلالة « الحَرْث » في القرآن الكريم جاءت على ثلاثة أوجه بحسب آراء المفسرين[٢٦]:

أحدهما: الكسب والثواب، ومنه قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [سورة الشورى: ٢٠]، أي: مَنْ كان يُريدُ جزاءَ عمل الآخرة نُزِدْ له في حرثه، أي نوفقِّه، ونضاعف له الحسنات، ومَن كان يُرِيدُ حرث الدُّنيا وهو غير مؤمن بالآخرة

(٢٤) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٢٦ (حرث).
(٢٥) التحرير والتنوير: ٨/ ١٠٦.
(٢٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٢٦ (حرث).

نُؤْتِهِ من الدنيا، أي نرزقه منها لا أنه يُعطى كل ما يُريدَهُ، ولا نصيب له في الآخرة(٢٧).

والثاني: الأَرض المحروثة، ومنه قوله تعالى: ﴿ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ ﴾ [سورة البقرة: ٧١].

والثالث: منبت الولد، ومنه قوله تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾[سورة البقرة: ٢٢٣]، وذلك على سبيل التَّشبيه، فبالنساء زَرْعُ ما فيه بقاء أشخاصهم(٢٨).

وقد ذكر الله تعالى الحَرْثَين في قوله تعالى: ﴿ وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

والحَرْثُ مصدر قد يُطلق بمعنى الأرض المهيّأة للزرع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[سورة البقرة: ٧١].

وإطلاق "الحَرْث" على المحروث وأنواعه إطلاق متعدّد؛ إذ أُطلِقَ على الأرض المخصّصة للزَّرْعِ أو الغَرْسِ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ هَـٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾[سورة الأنعام: ١٣٨]. أي: أرض زَرْع محجورة على الناس أن يزرعوها. وقال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [سورة آل عمران: ١٤]، أي: الجنَّات والحوائط والحقول. وقال تعالى: ﴿ هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [سورة آل عمران: ١١٧]، أي: فأهلكت زرعهم. وقال تعالى: ﴿ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴾[سورة القلم: ٢١-٢٢]، يعنون به جنتهم أي صارمين عراجين التمر(٢٩).

وهذا يعني أنّ البارئ عزّ وجلّ أطلقَ «الحَرْث» مجازًا على المكان المحروث لعلاقة مكانيّة، وعلى الأرض المزروعة والمغروسة، وإن لم يكن بها حَرْث، فسَمَّاه

(٢٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤/ ٣٠١.

(٢٨) ينظر: مجاز القرآن: أبو عبيدة مَعمر بن المثنى (ت٢١٠هـ)، عارض بالأُصول وعلّق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجيّ بالقاهرة، (د. ط)، (د. ت): ١/ ٧٣.

(٢٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/ ١٠٦.

القرآن حَرْثًا في وقت جذاذ الثِّمار[٣٠].

الفرق بينَ الزَّرْعِ والحَرْثِ:

لم يفرِّق أهل اللغة عامّة بين الزَّرْع والحَرْث، إلّا أبا هلال العسكريّ في قوله: «الفرق بين الحَرْث والزَّرْع أنَّ الحَرْث: بذر الحبِّ من الطعام في الأرض. والزرع: نبته نباتًا إلى أن يبلغ، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦٣-٦٤]، حيث أسند الحَرْث إلى العباد، والزَّرْع إلى نفسه سبحانه، وروي عن النبيّ مُحَمَّدﷺ أنَّه قال: ((لا يقولن أحدكم زرَعْتُ، وليقل: حَرَثْتُ)). وهو يرشد إلى ما ذكرناه، وأهل اللغة لم يُفَرِّقُوا بينهما»[٣١].

ووافق هذا الرأي من المفسرين الآلوسيّ؛ إذ قال: «والحرث إلقاء البذر في الأرض وهو غير الزرع؛ لأنَّه إنباته يُرْشِدُك إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٦٤-]»[٣٢].

وأرى -والله أعلم- أنّ هناك فرقًا بين الزَّرْع والحَرْث؛ لأنَّ القرآن الكريم لا يختار لفظًا دون آخر إلّا وبينهما فرق ملحوظ، وهذا من جملة إعجازه.

ونستدلّ على ذلك بأن الزَّرْع يُطلق على ما أنبته الله تعالى وعلى ما غرسه الإنسان، كما أطلقه القرآن الكريم نفسه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾[سورة يوسف: ٤٧].

وكما نُسِبَ الزَّرْعُ في هذه الآية الكريمة إلى العباد، كذلك نُسِبَ إلى العباد أيضًا في قول النبيّ (مُحَمَّدﷺ): ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ

(٣٠) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٢٦ (حرث).

(٣١) الفروق اللغوية: ١٨١، وشعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقيّ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ: ٤/ ٣١١، وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطَّبرسيّ (ت٥٦٠هـ)، وضع حواشيه وخرّج آيات وشواهده: إبراهيم شمس الدِّين، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م: ٩/ ٣٣٦.

(٣٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل محمود الآلوسيّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت: ٢/ ١٢٤.

مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ))[٣٣].

من هنا يتّضح أنَّ الـزَّرْع أُطلِقَ في القرآن الكريم والحديث الشريف على ما أنبتَهُ الله تعالى، وعلى ما غرسَهُ الإنسان.

والتحقيق في دلالـة الـزَّرْع نجد في القرآن الكريم أنَّ للزَّرْع إطلاقين، يُطلق على الإنبات وهو لله تعالى، ويُطلق على الحَرْث وهو للإنسان، وإلى هذا الملمح ذهب الراغب الأصفهانيّ (ت٥٠٢هـ) بقوله: «الـزَّرْعُ: الإنْبَاتُ، وحقيقتهُ ذلك تكونُ بالأُمورِ الإلهِيَّةِ دُونَ البشريَّةِ. قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [سـورة الواقعة: ٦٤]، فَنَسَبَ الحَـرْثَ إليهم، وَنَـفَـى عنهم الـزَّرْع ونسبهُ إلى نفسِهِ، وإذا نُسِبَ إلى العبدِ فَلِكَوْنِهِ فَاعِلًا للأَسبَابِ التي هيَ سَبَبُ الزَّرْعِ، كما تقولُ: أَنْبَتَّ كذا؛ إذا كُنْتَ من أسبابِ نَبَاتِهِ»[٣٤].

وإلى هـذا الـرأي ذهـب الـزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ) بقوله: «زَرَعَ العبدُ: يَحْرثُ، والله يـزرعُ: يُنبتُ ويُنمّي، ومن المجاز زرع الله ولـدك للخير..، وزرع الـزَّارع الأرضَ»[٣٥].

فنسبة الزَّرْع إلى الله على وجه الحقيقة، وإلى البشر على سبيل التجوُّز، والنفي عن نسبة الزَّرْع إلى البشر في سورة الواقعة على سبيل المبالغة؛ لعدم الاعتداد بزرع البشر، قال ابن عاشور: إنّ «القول في نفي الزرع عنهم وإثباته لله تعالى يفيـد معنى قصر الزَّرْع، أي: الإنبـات على الله تعالى، أي دونهم، وهو قصر مبالغة لعدم الاعتداد بزرع الناس»[٣٦].

وأمَّـا ما ورد في الفروق اللغويّة من

(٣٣) صحيح مسلم بشرح الـنـووي، تحقيق وفهرسة: عصام الضابطي، حازم محمد، وعماد عامر، دار أبي حيان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، كتاب المساقاة ٢٢ باب فضل الغرس والزرع، ٥/ ٤٨٠.

(٣٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٧٩ (زرع).

(٣٥) أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزَّمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، قراءة وضبط وشرح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٣٠ هـ= ٢٠٠٩ م: ٢٦٩(زرع)، وينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزَّمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت -لبنان، ط١، (د. ت) ٢/ ١٢١٦.

(٣٦) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٣٢١.

نص الحديث الذي جاء فيه «لا يقولنَّ أحدكم: زرعتُ، وليقل: حرثتُ»[٣٧]، فالمعروف أنّ المنع مبنيٌّ على الاعتقاد الفاسد بأن يُطلِق أحدٌ الزَّرع على الإنسان معتقدًا أنَّه هو الذي يُنبِتُ ويُنَمِّي، فَمُنِعَ عن هذا الاعتقاد، وأُرشِد إلى أنّه ينبغي الاعتقاد بأنّ الزَّارع الحقيقيّ هو الله تعالى، وأمَّا الإنسان فليس له سوى تهيئة الأسباب وتدبيرها.

وعلى هذا، فالإنسان لا يزرع، أي لا يُنبِت، وإنّما الله تعالى هو الزَّارع، فنسبة الزرع إلى الله حقيقيّة، وإلى البشر مجازيّة، والمراد مِن زَرْعِ الإنسان قيامه بالأسباب، والله تعالى أعلم.

المبحث الثَّاني

الاستعمال المجازيّ للزَّرْعِ والحَرْثِ في القرآن الكريم:

بعد دراستنا لدلالة الزَّرْع والحَرْث في القرآن الكريم، واطلاعنا على الفرق بينهما، فإنَّ «الزَّرْع» عبارة عن الإنبات؛ إذا أُسنِدَ إلى الله تعالى، وعبارة عن حرث الأرض؛ إذا أُسنِدَ إلى الإنسان، فالإنسان يحرث الأرض، ويلقي فيها بذورًا، ويسقيها، ويعتني بها حتّى الحصاد، إلّا أنّ إخراجَ الزَّرعِ من الأرضِ، وتحليته بالأثمار، فذلك بقدرة المولى تعالى.

وأمّا في هذا المبحث فسنلقي ضوءًا على الاستعمال المجازيّ لهاتين الكلمتين، ونلحظ المعاني التي استوحاها القرآن الكريم من الزَّرْعِ والحَرْثِ بأبدع صورٍ، وأروع أساليب، وذلك كالآتي:

القرآن الكريم يُشبِّه ترقيـــة الأمة المحمديّة بنموِّ الزَّرع:

لقد استوحى القرآن الكريـم من مادة «الزَّرع» معنى ترقية المسلمين، فكما أنّ الزَّرع يخرج شطأه رقيقًا، ثمَّ يصبح غليظًا، فكذلك بدأ الإسلام ضعيفًا، ثمَّ أصبح قويًا أغاظ الكفار، وفي ذلك يقول عزَّ مَنْ قائل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ

(٣٧) الفروق اللغوية: ١٨١، ورواه البيهقي في شعب الإيمان: ٤/ ٣١١، وينظر: مجمع البيان: ٩/ ٣٣٦.

فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾[سورة الفتح: ٢٩].

ذكر أبو حيّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ) في الشطء خمسة أقوال، أحدها: فراخ السُّنبلة التي تنبت حول الأصل، والثاني: شطأه فراخه وأولاده، والثالث: نباته، والرابع: شتول السُّنبل يخرج من الحبّة عشر سنبلات وتسع وثمان، والخامس: طرفه[٣٨].

وأمَّا قوله: (فَـآزَرَهُ)، فقد ذكر فيه أبو حيَّان الأندلسيّ قولين: أحدهما: قوّاه وشَدَّ أزْرَهُ، والثاني: صار مثل الأصل. وقوله: (فَاسْتَغْلَظَ) صار من الرِّقة إلى الغلظ، وقوله: (فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ) أي تمَّ نباته، وقوله: (يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) جملة في موضع حال، وإذا أعجب الزَّارع فهو أحرى أن يعجب غيرهم؛ لأنّه لا عيب فيه؛ إذ قد أعجب العارفين بعيوب الزَّرْع، ولو كان معيبًا لم يعجبهم، فإن قلت: إنّ قوله: (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) تعليلًا لماذا؟. قلت: لمّا دَلَّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيتهم في الزيادة والقوة[٣٩].

فالآية الكريمة وصف لحال النبيّ مُحَمَّدﷺ وأصحابه الذين آمنوا به واحدًا بعد واحدٍ حتّى صاروا جماعة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مثل الزرع الذي يخرج فرخه رقيقًا، ثمَّ يكبر، حتّى يصير قويًّا قائمًا بذاته[٤٠]، والمثل واضح كلّ الوضوح، ضربه الله لبدء أمر الإسلام وترقية في الزيادة إلى أن قوي واستحكم؛ لأنّ النبيّﷺ قام وحده، ثمّ قوّاه الله بِمَن آمن معه، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولّد منها حتّى يعجب الزارع[٤١]، ونلحظ الدقّة المتناهية في رسم هذه الصورة العجيبة وبأسلوب بديع،

(٣٨) ينظر: البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسيّ (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمود معوض، وشارك في التَّحقيق: زكريا عبد المجيد النُّوقي، وأحمد النَّجوليّ الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣م: ٨/ ١٠١.

(٣٩) ينظر: البحر المحيط: ٨/ ١٠١.

(٤٠) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٥/ ٢٤.

(٤١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣/ ٣٥٠.

إنّها صورة مؤلّفة من لقطات عدّة لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة، الظاهرة والمضمرة، صورة حيّة لنمو الإسلام وازدهاره، فإنّه بدأ كما هو الزرع في بداية نموه، حتّى صار قويًّا فأغاظ الكفار كما ينمو ويشتد الزرع.

القرآن الكريم يُشبِّه هلاك الكفار بالزَّرع المحصود:

من المعاني المستوحاة من الزرع هلاك الكفار تشبيهًا بالزرع المحصود، فكما أنّ الزرع ينضج فيحصد، ويذهب خضره، ويهلك حياته، كذلك الكفار يهلكون. قال تعالى: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١٥].

الحصيد: هو قطع الاستئصال كالزرع، والخمود: الهمود، كخمود النار إذا أُطفئت، فشبَّه خمود حياة الكفار بخمود النار، كما يقال لِمَن مات: قد طفئ، تشبيهًا بانطفاء النار[٤٢].

وتلاحظ في الآية تشبيهان، أحدهما تشبيه استئصالهم بالزَّرْع المحصود، والآخر سقوطهم على الأرض، كونهم بلا حراك بالنار الخامدة، فكأنّهم أصبحوا مُجتثين من أصولهم ساقطين على الأرض خامدين لا حراك لهم، كالنار التي خمدت وأصبحت رمادًا[٤٣].

هذا، وقد شُبِّه بالزَّرْع وبالنار، وأفرد بالذكر وأُريد به المشبه بهما، يعني الزَّرْع والنار ادعاءً بقرينة أنّه نسب إليه الحصاد الذي هو من خواص الزرع، والخمود الذي هو من خواص النار[٤٤].

ونرى تصوير القرآن العجيب لحال الكفار من هلاك ودمار حينما أضفى على الصورة المرسومة معاني بديعة وأخيلة رائعة تبهج القلوب؛ فإنَّه لم يكن مجرّد تصوير هلاكهم، بل أثار بهذا التشبيه معاني في الأذهان، منها أنَّ الكفار كانوا قبل هلاكهم نشيطين ومتيقضين في أنشطتهم الكفريّة بكمال غضاضة وطراوة، وحياتهم الراقية بالبهجة والسرور غضة، كأنهم خُضر مثل الزَّرْع، وكانوا معتدّين،

(٤٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ١٥٨.

(٤٣) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ٢/ ٣٦.

(٤٤) ينظر: روح المعاني: ١٧/ ١٧.

فكأنّهم شُعل نار، ولكنهم نسوا أنّ الزَّرْع يُحصد مهما خَضَرَ ونَضَرَ، والنار تخمد مهما ارتفع لهيبها، وكذلك الباطل يزهق مهما طغى وتعدّى، فليس مصير الظالمين إلّا الهلاك، فلمّا جاء أجلهم حُصِدُوا كما يُحصد الزرع، وبعد الحصاد رُمُوا على الأرض، وأصبحوا بلا حراك، فذهب نشاطهم وخضرتهم ونضرتهم وطراوتهم، فخمدوا كما تخمد النار.

ولو أنعمت النظر في هذه الصور البديعة، لوجدت القرآن الكريم قد جمع بين الضدّين، فالكافر غضٌّ طريٌّ في عمله ضدَّ الحقِّ، ونار مستعرة في طبيعته.

واختلف العلماء في طبيعة الهلاك، فمنهم مَنْ قال: إنَّهم كانوا أهل حصون، وإنَّ الله تعالى بعث عليهم بختنصر بجيش فحصدهم بالسيف جراء قتلهم نبييهم، ومنهم من قال: أهلكهم بالعذاب[٤٥].

وذهب أغلب المفسرين إلى الرأي الثاني في أنَّهم أُهلكوا بالسيف، كما يُحصد الزَّرْع. وهذا الرأي يؤيده ما ذُكر في سبب نزول هذه الآية أنَّها نزلت في أهل قرية باليمن تُسمّى «حضوراء»؛ لأنّهم كذبوا نبيهم ثم بعد ذلك قتلوا، فسلط الله تعالى عليهم بختنصر، حتى قتلهم وسباهم، فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهزموا، فقالت الملائكة لهم استهزاء: لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلَّكم تُسألون[٤٦].

وفي آية أُخرى شبَّه الله تعالى هلاك الكفار بالزرع المحصود، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾[سورة هود: ١٠٠].

انظر السياق القصصي الذي أخبر به الله تعالى عن قوم أُهلكوا بظلمهم، فلم يبقَ منهم ولا من قراهم غير آثارها ومعالمها، بل طُمست بمن فيها، وأصبحت حصيدًا، أي: كزرع محصود، لم يبقَ أهلها، ولا نضارتها ولا طراوتها، ولا أغصانها ولا

(٤٥) ينظر: البحر المحيط: ٦/ ٢٧٨ -٣٧٩.

(٤٦) ينظر: معالم التنزيل المسمى (تفسير البغويّ): أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ(ت٥١٦هـ)، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ = ١٩٩٧م: ٥/ ٣١٢، والبحر المحيط: ٦/ ٢٧٨ -٣٧٩.

سيقانها، بل ذهب كلّ شيء وأصبح رُكامًا.

ومِمّا يجدر ذكره أنّ الهلاك حصل لكلّ شيء في هذه القرى وكانت القرينة الجامعة هي الحصد، فهذه حال القرى التي أهلكها الله وأهلها بظلمهم، فلم يبق منها شيء.

ويُلحظُ في الآية أنّ الله تعالى شبَّه ما بقي من القُرى من آثار وجدران بالزرع القائم على ساقه، وشبَّه ما اندثر منها بالحصيد[٤٧].

وهذا يعني أنّ القائم ما بقيت حيطانه، والحصيد ما قد مُحي أثره[٤٨]، فالباقي من القرى كآثار فرعون ومنها الأهرامات وأبي الهول وهيكل الكرنك بمصر، وآثار نينوى بلد قوم يونس عليه السلام، وانطاكية قرية المرسلين الثلاثة، وصنعاء بلد قوم تُبَّع، وأما البائدة فمثل ديار عاد، وقرى قوم لوط، وقرية مدين[٤٩].

وهناك آية أُخرى شبَّهَ الله تعالى فيها هلاك قوم عاد بالنخل المقطوع، بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾[سورة الحاقة: ٦ –٨].

فالآية تحكي لنا قصة قوم عاد الذين تمادوا وعتوا عن أمر ربِّهم وطغوا في البلاد فأُهلكوا بريح صرصر عاتية، فقد كانت هذه الريح تضرب أحدهم بالأرض فيخر ميتًا على أُمِّ رأسه، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنَّها قائمة النخلة إذا خرَّت بلا أغصان[٥٠].

وقد ذكر أبو حيّان الأندلسيّ ثلاثة أوجه في تشبيههم بالنخل الخاوية: أحدها: أنَّ الرِّيح كانت تدخل من أفواههم فتخرج حسو أجوافهم من أدبارهم، قاله ابن شجرة. والثاني: أنّ أبدانهم خلت من

(٤٧) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن عليّ ابن عادل الدمشقيّ (ت بعد٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعليّ محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ١٠/ ٥٦٠.

(٤٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣/ ٦٣.

(٤٩) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٥٨.

(٥٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): ٨/ ٢٠٩.

أرواحهم مثل النخل الخاوية، قاله يحيى بن سلام. والثالث: أنَّهم عُذِّبوا سبعة أيام، ثُمَّ في اليوم الثامن ماتوا وألقتهم الريح في البحر(٥١).

ويُعيد القرآن الصورة الحسيّة نفسها لهلاك قوم عاد في سورة القمر، إلّا أنَّه عَبَّر عن الخاوية بالمنقعر في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[سورة القمر: ١٨ -٢١].

فالآيات هي تصوير لعذاب قوم عاد، الذين شبههم القرآن حين وقعوا من شدّة العذاب بالنخل الساقطة التي لا رؤوس لها(٥٢)، وإنَّما شبههم بالنخل لِطُولِهم(٥٣)، وكان طول كل واحد منهم اثني عشر ذراعًا(٥٤).

(٥١) ينظر: البحر المحيط: ٨/ ٣١٦ -٣١٧.

(٥٢) ينظر: معالم التنزيل للبغوي: ٧/ ٣٧٠.

(٥٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزديّ، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م: ٣/ ٣٩٣.

(٥٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن عليّ بن محمد الجوزيّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ: ٨/ ٩٦.

فالقرآن الكريم استوحى معنى الهلاك من الزَّرْع المحصود بالقطع والحشّ والضم والاقتطاف، ومن النخلة المقطوعة في تصوير حال الكفار.

القرآن الكريم يُشبِّه إنفاق الأموال بنبت الزَّرْع الكثير:

حَرَّضَ القرآن الكريم المؤمنين على إنفاق أموالهم في سبيل الله، ليكون هذا التحريض ذا معنى قيِّمٍ، وتأثير بالغ، ويكون دافعًا قويًّا نراه في تشبيه الإنفاق في سبيل الله بالجنّة التي تكون بربوة فأصابها وابل فتضاعف إنتاجها، وإن لم يصبها وابل فطل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[سورة البقرة: ٢٦٥].

فالربوة في الآية هي المكان المرتفع المستوي من الأرض، الذي تجري فيه الأنهار فلا يعلوه الماء، ولا يعلو عن الماء،

وإنّما جعلها بربوة؛ لأنّ النبات عليها أحسن وأزكى. والوابل: المطر الشديد. والطَّلُّ: الرذاذ، وهو المطر الضعيف الخفيف ويكون دائمًا، أو هو الندى[٥٥].

وهو مثل يُقصد به كثير البِرِّ مثل زرع المطر كثير النفع، وقليل البِرِّ مثل زرع الطَّلِّ قليل النفع، ولا تدع قليل البِرِّ إذا لم تفعل كثيره، كذلك لا تدع زرع الطَّلِّ إذا لم تقدر على زرع المطر، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدًا، بل يتقبَّله الله ويُكثّره ويُنميه، كل عامل بحسبه؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، أي: لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء[٥٦].

فالعمل الكثير مثل الوابل، أي المطر الشديد، والعمل القليل مثل الطَّلّ، والطَّلّ إذا كان يدوم يعمل عمل الوابل الشديد[٥٧].

ووجه الشبه هو الهيأة الحاصلة من مجموع أشياء تكامل بها تضعيف المنفعة، فالهيأة المشبّهة هي النفقة التي حفَّ بها طلب مرضاة الله والتصديق بوعده، فضوعفت أضعافًا كثيرة أو دونها في الكثرة، والهيأة المشبّهة بها هيأة الجنة الطيّبة وهي المكان التي جاءها التهتَان فزكا ثمرُها وتزايد فاكتملت الثمرة، أو أصابها طلّ فكانت دون ذلك[٥٨].

والآية القرآنيّة وضَّحت معلومة دقيقة عن الشؤون الزراعية التي تتطلب خبرة ومهارة وسعة نظر في الأراضي الزراعية، وفيما يُفيد الزرع وما لا يفيده، وأنّى تأتّى كلّ هذا وذاك لذلك المجتمع الذي لم ينهض إلّا جديدًا، فهذا يعني أنّ القرآن ليس من كلام البشر، وإنّما هو كلام ربِّ العرش العظيم الذي لا يحيط بعلمه شيء، وسع كرسيه السموات والأرض.

القرآن الكريم يُشبِّه أطوار الحياة الإنسانيّة بأطوار الحياة النباتيّة:

(٥٥) ينظر: البحر المحيط: ٢/ ٣١٤.

(٥٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): عماد الدين أبي الفداء بن كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ)، دار الجيل، وطبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٣م: ١/ ٦٩٥، والميزان في تفسير القرآن: ٢/ ٣٩٥.

(٥٧) ينظر: معالم التنزيل للبغوي: ١/ ٣٢٨.

(٥٨) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٥٢.

ومن المعاني المستوحاة من مادة «الزَّرْع» تشبيه أطوار الحياة الإنسانيّة بأطوار الحياة النباتيّة، قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[سورة الزمر: ٢١].

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[سورة الحديد: ٢٠].

وترى في هذه الآيات أنَّ القرآن الكريم يضرب لنا الأمثال بأطوار الحياة الزراعيّة على أطوار الحياة الدنيا وما فيها من شباب وكهوله وهرم وفناء، فإنّ جميعها أعراض زائلة وعاقبتها فناء، مثل الزرع تمامًا، الذي ينبت خضرًا، ثُمّ يَصفرُّ، فيصبح حطامًا، فلا ينغي لأحد أن يغترَّ بهذه الحياة الزائلة؛ ولهذا جعل القرآن هذا الشيء ذكرى لأولي الألباب.

فالمعنى لطيف، والتشبيه بديع، ويمكن أن يفكّك أجزاء التشبيه؛ لأنّ القرآن شبَّه أوّل أطوار الحياة وإقبالها بالنبات عقب المطر، كما شبَّه الناس المنتفعين بإقبال الدنيا بأناس زُرَّاع، وشبَّه اكتمال أحوال الحياة وقوة الكهولة بهياج الزرع، وشبَّه ابتداء الشيخوخة ثُمَّ الهرم وابتداء ضعف عمل العامل وتجارة التاجر وفلاحة الفلاح باصفرار الزرع وتهيُّئه للفناء، وشبَّه زوال ما كان للمرء من قوة ومال بتحطم الزرع(٥٩).

والتمثيل يدخل فيه كلُّ ما يتعلق باللَّهو واللَّعِب والأمور الدنيوية، ويخرج منه الأمور التي هي من شؤون الآخرة كأعمال البِرّ، ودراسة العلم، ونحو ذلك لا يعتريها نقص ما دام صاحبها مقبلًا عليها، وبعضها يزداد نماءً بطول المُدَّة(٦٠).

وبهذا قرَّب القرآن إلى الأفهام صورة الحياة الدنيويّة الخضرة النضرة وما تنطوي عليها من عاقبة فانية بتشبيه أطوار الزرع

(٥٩) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٤٠٥.
(٦٠) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٤٠٥.

المعروفة لدى الناس.

القرآن الكريم يُشبِّه ثمرات الأعمال بثمرات البذور:

ومن المعاني المستوحاة من طبيعة الزرع، تشبيه القرآن ثمرات الأعمال بثمرات البذور، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[سورة الشورى: ٢٠].

فالمراد بقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ ﴾، أي: يبتغي عملًا لأجل الآخرة. وذلك أنّ المريد: هو المؤمن بالآخرة؛ لأنّ المؤمن بالآخرة لا يخلو عن أن يريد الآخرة ببعض أعماله كثيرًا كان أو قليلًا، والذي يريد حرث الدنيا مراد به: من لا يسعى إلّا لعمل الدنيا بقرينة المقابلة بمن يريد الآخرة، فتعيَّنَ أنّ مُريد حرث الدنيا في هذه الآية: هو الذي لا يؤمن بالآخرة[٦١].

وتشبيه القرآن لثمرات الأعمال ونتائجها بثمرات البذور، تشبيه أفاد الترغيب بالأعمال الصالحة، ذلك أنّ مشاهد مَن يزرع يحصد، ولا يحصد أحد إلّا ما يزرعه، فإن زرع عنبًا لا يحصد إلّا عنبًا، ومَن يزرع شوكًا لا يحصد إلّا شوكًا، فكذلك مثل الدنيا والآخرة، فإنّهما كالحرث فَمَن يحرث للدنيا لا يحصد إلّا ما حرث لها، ومن يحرث للآخرة كانت له.

لقد وظف القرآن الكريم ألفاظ وأساليب من واقع الزراعة، لتصوير معاني بديعة، ورشّح منها صورًا رائعة خلّابة تهتزُّ لها النفوس.

القرآن الكريم يُشبِّه إنتاج النَّسل الإنسانيّ بحرث الأرض:

لقد ذكر القرآن الكريم «الزَّرْع» بكلا المفهومين، زَرع منسوب إلى الله، وزَرع منسوب إلى الإنسان، وهو الذي أطلق عليه القرآن الكريم كلمة «الحرث»، وقد ذكر القرآن الكريم الزَّرع وأراد به زرعًا حقيقيًّا، أي: ساقه لبيان الزَّرع، وقد ساق القرآن الزّرع مستوحيًا منه المعاني المجازية الرائعة، وهي كثيرة، منها أنّه استوحى من حراثة الأرض معنى النسل الإنسانيّ، فكما يُلقي الفلاح بذورًا في الأرض للمحاصيل

(٦١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧/ ٤٠٥.

الزراعيّة فكذلك يتزوج الإنسان النساء لازدياد النَّسل الإنسانيّ، وفي ذلك يقول عزّ وجلّ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢٣].

فأصل الحَرْث من الناحية الدَّلاليّة: الشَّقّ، يقال: فلان حَرَثَ الأَرض للزَّرْع؛ إذا شقَّها بآلة حديديّة ليزرع في شقوقها أو ليغرس الأشجار فيها، ومنه المِحراث؛ لأنّه يُشَقُّ به الأرض.

وفي هذه الآية «(نِسَاؤُكُمْ) مبتدأ و (حَـرْثٌ لَّكُمْ) خبر إما على حذف إداة التشبيـــه، أي: كحرث لكم، ويكون (نِسَاؤُكُمْ) على حذف مضاف، أي: بوطء نسائكم كالحرث لكم، شبَّه الجماع بالحرث إذ النطفة كالبذر، والرحم كـالأرض، والولـد كالنبات، وقيل: هو على حذف مضـاف أي: موضـع حرث لكم وهذه الكناية في النكاح من بـديع كنايات الـقـرآن...، ويحتمل أن يكون (حَـرْثٌ لَّكُمْ) بمعنى محروثة لكم، فيكون من باب إطلاق المصدر ويراد به اسم المفعول...، وفيها دليل على النهي عن امتناع وطء النساء؛ لأنّ المزدرع؛ إذا ترك ضاع»[٦٢].

وفي كلتا الحالتين تتوظف كلمـــة «الحَـرْث» في هذه الآيـة الكريمة، وفيها عدل عن الحقيقة، لا لقبحهـا وثقلها عن الأَسماع والطِّباع، ولكنْ لِمَا هو آنس للنفس، وأَوقع في الحِسِّ[٦٣]؛ فقد شُبِهت النساء بالأرض المحروثة، وشُبِهت النُّطف بالبذور، والأولاد بالمحصول[٦٤]؛ لتدل من طريق الأساليب البيانيّة على عملية إتيان المرأة؛ إذ إنّ عملية إتيان المرأة أشبه بعملية الحراثة، فكما أنّ الأرض يستحصل منها الـزرع بعد الحـرث، فكذلك المـرأة يستحصل منها الولد بعد عملية الإتيان؛ لأنّ النساء زرعُ ما فيه بقاءُ نوع الإنسان،

(٦٢) ينظر: البحر المحيط: ٢/ ١٨٠.

(٦٣) ينظر: العاقل وغير العاقل في الاستعمال اللغويّ والبيانيّ: د. غـازي مطشر حمزة البدريّ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق -سوريا، ط١، ٢٠١٨م: ٣٣٣.

(٦٤) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى: ١/ ٧٢، والنكت والعيون المعروف بتفسير المـاوردي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزيّ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣: ١/ ٢٥١.

والأرض زرع ما فيه بقاء نوع النبات.

إذن فالحَرْث في سياق هذه الآية موضع خروج الولد، وهو على التشبيه بموضع خروج الزرع؛ لأنّ النساء مزارع الولد.

وفعل الشَّاعر الأَمر نفسه عندما شَبَّه المرأة بالحَرْثِ في قوله[٦٥] [الوافر]:

إِذا أَكَلَ الجَرادُ حُرُوثَ قَوْمٍ
فَحَرْثِي هَمُّهُ أَكْلُ الجَرَادِ

وهذا التشبيه بهذه الدلالة يُبيِّن أنّ الإباحة في جماع الزوجة لم تقع إلّا في الفرج خاصة؛ إذ هو المزدرع، ومكان استنبات النبات فأتوا يا معشر الرجال جامعوا نساءكم في مكان الحَرْث، أي: مكان الزَّرْع (زرع الولد)، أمّا المكان الذي لا ينبت فيه الولد فلا تقربوه[٦٦].

ومن ثمّ يدلُّ الاستعمال القرآنيّ لكلمة «الحَرْث» على النماء والاستبشار والتفاؤل ولا سيّما أنّه سمّى المرأة ذاتها به لما بين ما يُلقى في أرحامهن وبين ما يُلقى في الأرض–من البذور –من المشابهة؛ إذ إنّ كلًا منهما مادّة لما يحصل منه الخير.

لذلك يقول الزمخشريّ: وكلمة الحرث «من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة. وهذه وأشباهها في كتاب الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها، ويتكلّفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتبتهم»[٦٧].

ونرى في هذه الآية وفي كثير غيرها من آي القرآن الكريم أنّ القرآن الكريم–دائمًا –يلجأ إلى الكلمات الراقية المهذبة في تعبيراته، حياء واستهجانًا من ذكر الكلمات المستقبحة اجتماعيًّا وهو –هنا – شبَّه الزوجة بالحَرْث، وهو إثارة الأرض

(٦٥) أساس البلاغة: ١١٧(حرث)، ولسان العرب: ٢/ ١٣٥(حرث). والبيت بدون عزو في كليهما.

(٦٦) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبريّ، (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ط، ١٤٢٠=٢٠٠٠م: ٤/ ٤١٢، والبحر المحيط: ٢/ ١٨٠، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العماديّ (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مطبعة السعادة، ميدان أحمد ماهر، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ٢٢٣. وروح المعاني: ٢/ ١٢٤.

(٦٧) الكشاف: ١/ ١٢١، ولسان العرب: ٢/ ١٣٥(حرث).

وتذليلها للزراعة؛ يقال حرث الأرض: أثارها للزراعة وذلّلها لها»، وقد شبّه الله تعالى الزوجات بالمحارث تشبيهًا لما يُلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل، بالبذور؛ ولذا أنشد ثعلب [مجزوء الرمل][٦٨]:

إِنَّمَا الأَرْحَامُ أَرَضُونَ لَنَا مُحْتَرَثَاتُ
فَعَلَيْنَا الزَّرْعُ فِيهَا وَعَلَى اللهِ النَّبَاتُ

ومن المعروف أنّ القرآن الكريم ينظر دائمًا إلى المجتمع البشريّ بدقةٍ متناهيةٍ فيستقي منه تعبيرات وأساليب، ويستعير من واقعه معانيًا وصورًا، كما أخذ كلمة «الحَرْث» من واقع المجتمع الإنسانيّ الذي يزرع، واستعار منها معنى إتيان الرجل زوجته لإنتاج النسل الإنسانيّ، وهو تشبيه بديع من واقع الحياة الإنسانيّة لا يصعب على أحد فهمها وإدراكها، فقد شُبِّهتِ النساء بالحَرْث لما بين ما يُلقى في أرحامهن والبذور من المشابهة من حيث إنّ كلًا منهما مادّة لما يحصُل منه[٦٩]، وهذا إعجاز قرآنّي في اختيار هذه المفردة دون غيرها، وسبق عظيم لم يتوصل إليه عقل بشر.

كما تتجلى روعة التعانق الدّلاليّ بين الإعجاز اللغويّ والعلميّ في اختيار كلمة «الحَرْث» الدَّالّة على معنى الزَّرْع، حيث تدخل النطفة الرحم وتختلط ببيضة المرأة وتوصف -وهي في هذه المرحلة -بـ(بالبويضة)، وفي هذه المرحلة تنغرس النطفة المسماة -من الناحية العلمية - بـ(الكرة الجرثومية) -والتي ستكوّن في النهاية المشيمة -كما تنغرس البذرة في التربة.

وتبدو الكلمة أكثر روعة في دلالتها على الأرض المحروثة، فقبل أن يضع الإنسان البذرة في الأرض لا بد من حرثها، وبعد حرثها ووضع البذرة فيها سرعان ما تخرج البذرة وتصبح زرعًا ينتج الثمار، وكذلك الأمر في رحم المرأة فقبل دخول البذرة (أي: النطفة) فيه، وبعد

(٦٨) فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن عليّ بن محمد الشوكانيّ(ت١٢٥٠هـ)، اعتنى به وراجعه: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٤، ١٤٢٨هـ=٢٠١٧م: ٢/ ١٤٦.

(٦٩) ينظر: العاقل وغير العاقل في الاستعمال اللغويّ والبيانيّ: ٣٣٣.

انتهاء الدورة الشهرية (الحيض) وخلوه من الفضول المانعة له عن فعله، يكون الرحم محروثًا أي جاهزًا للقاح، واللقاح هو الزرع المنتج للنسل ذكورًا وإناثًا.

وتزداد الكلمة جمالًا في دلالتها على كسب الخير، حيث تجعل الزواج رمزًا للنماء والبركة؛ لأنّ هناك من الناس من يعتقد أنّ في الزواج فقرًا، فاستعمال القرآن لكلمة «الحَرْث» في منتهى روعة الإعجاز البيانيّ؛ إذ جعل الخير المتوقَّع من الزواج كالخير المنتظر من الأرض التي لا قوام للحياة إلّا بما تخرجه من زرع.

وتبلغ الكلمة منتهى رقيها في دلالتها على المعاشرة الزوجية، وهذا مِمّا انفرد به القرآن الكريم؛ فهي كلمة لطيفة ودقيقة راسمة مصورة، مؤدَّبة مهذبة، فيها روعة التعبير وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب، لا يدركه إلّا من تذوَّق حلاوة القرآن؛ إذ عبّرت عن المعاشرة الزوجية التي من شأنها أن تتمَّ في السرِّ والخفاء بالحَرْث، وهذا نوع من الأدب رفيع وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية. وتنطوي تحته معانٍ كثيرة تحتاج في التعبير عنها آلاف الكلمات. فصلة التشابه بين المزارع وحرثه، وصلة الزوجة في هذا المجال الخاص، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي يخرجه الزوج وما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح كلّها معانٍ تنطوي تحت كلمة «الحَرْث».

الخاتمة:

من أبرز النتائج التي توصّلتْ إليها الدراسة هي:

١. إنّ ألفاظ القرآن الكريم تمثّل قمَّة الفصاحة، وذروة الجودة والحلاوة، وتزداد رونقًا وجمالًا في داخل السياقات من حيث لو حذفت لفظة وأُضيفت أخرى أو استُبدلت لفظة بلفظة أخرى لذهبت الفصاحة وماتت البلاغة، وفقد النص القرآنيّ قيمته الأدبيّة والفنيّة.

٢. إنّ ألفاظ القرآن الكريم تتمتع بحيوية تامةٍ، وهي متنوعة الدلالة ومتعدِّدة الجوانب والسياقات، مترامية الأبعاد والأغراض، فهي معين لا ينضب وسلاسلة لا تنتهي، ولا تقف دراستها إلى حدٍّ زمن معين.

٣. إنّ مهنة الزراعة عامّة لكُلّ البشر؛ لذلك أكّد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عليها كونه جاء هدىً ورحمةً للعالمين.

٤. كانت الزراعة من أكثر المهن حظًا في القرآن الكريم، فقد بسط القرآن الكريم هذه المهنة بكل تفاصيلها من بيان نشوء الزرع إلى سقايته وحصاده، واستوحى منها معاني مجازيّة، وذكر كثيرًا من النباتات الدنيويّة والأخرويّة، وذكر أيضًا الأشجار والأثمار والفواكه والحبوب والحدائق والبساتين، وما إلى ذلك من أمور تتعلّق بالزرع.

٥. إنّ القرآن الكريم يستقي كثيرًا من المعاني من واقع المجتمع الإنسانيّ، ويعتني بأساليب الحياة ورقيها معتمدًا على تقديم الفائدة لعامة البشر، من هذا المنطلق احتوى على مجموعة من الألفاظ التي تدلّ على أهمية الزراعة في حياة البشر.